العنوان:	الحياة الأدبية و الثقافية في نابلس و ما حولها في العصر العباسي
المؤلف الرئيسي:	اللبدي، نزار وصفي
مؤلفين آخرين:	الابراهيمي، ابراهيم محمود(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1987
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 172
رقم MD:	550091
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الحياة الأدبية، الحياة الثقافية، نابلس ، العصر العباسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/550091

الفصل الثالث

دراسة تقويمية :

يبدو من خلال كل ما تقدم في هذه الدراسة ، أن الحياة الثقافية والأدبية في نابلس ، في العصر العباسي ، مرت بمراحل ثلاث : الأولى منها تبدأ بقيام الدولة العباسية ، وتنتهي باحتلال الصليبيين لنابلس ، والثانية تنتهي بخروج الصليبيين من نابلس وما حولها ، والثالثة تنتهي بسقوط الخلافة العباسية إثر اجتياح المغول بغداد .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي وصلتنا عن الحياة الثقافية والأدبية في المدينة وما حولها في العصر العباسي ، ولا سيما في القرون الثلاثة الأولى منه ، إلا أن ما وصلنا منها يمكن أن يقدم لنا تصورا" لما كان عليه أمر الثقافة والأدب في نابلس أيام العباسيين . ولا ريب في أن حالة الثقافة والأدب في المدينة وما حولها ، لا بد أن كانت فيها مشابه كبيرة من حال الثقافة والأدب في أرجاء الدولة الاسلامية جميعها ، على الرغم من التفاوت الناتج عن اختلاف الظروف المحلية . ومما يتفق عليه عليه دارسو الحياة الثقافية والأدبية ، أن لكل فترة زمنية سمات تتسم بها أدبها وثقافتها . ولكن ذلك لا يعني أن بإمكاننا أن نقيم جدارا" فاصلا" بين نتاجين يمثلان فترتين متلاحقتين ، لأن بعض السمات العامة تبقى آثارها قائمة على الرغم من تلاحق الأزمان . ولذا فإن امتداد الفترة الزمنية لن يحول دون الخروج بتصور مقبول لما كان عليه أمر الأدب والثقافة في نابلس وما حولها في العصر العباسي .

وبما أن هذه الدراسة قائمة على استقراء الحياة الأدبية والثقافية في منطقة نابلس ، فقد يكون من الملائم أن يفرد لكل من الثقافة والأدب صفحات خاصة ، لا سيما أن للأدب مقوماته المتميزة عن ألوان الثقافة الأخرى .

فمن السمات البارزة للثقافة في المنطقة موضوع هذه الدراسة،أنها قد غلبت عليها منذ البداية السمة الدينية ، وبقيت هذه السمة تلازمها طوال العصر المذكور ، إذ إنها كانت منبتا" صالحا" لعدد كبير من الفقهاء والمحدثين الذين تركوا آثارهم على ألوان الثقافة المختلفة في مدينة نابلس وما جاورها . ونظرا" لشيوع المذهب الحنبلي وسيادته في المنطقة كما بينت سابقا" بعد أن كان المذهب الشافعي هو السائد فيها فإن كلا المذهبين قد ترك طابعه في النتاج الثقافي لعلماء المنطقة ، وإن كان

أثر المذهب الحنبلي في هذه الثقافة أكبر من أثر المذهب الآخر، ولا سيما بعد أن ظهر علماء بارزون في هذا المذهب، من أمثال الشيخ عبد الغني بن عبد الواحد، والشيخ المُوفّق بن قُدامة، خلال القرن السادس الهجري والقرن اللاحق به.

وعلى الرغم من أنه لم يصلنا من أخبار علماء الشافعية إلا القليل، فقد اتضح من هذا القليل أنه كان لهؤلاء العلماء دور في الحياة الثقافية في عصرهم وقد تعدى أثرهم هذا حدود منطقتهم إلى أجزاء أخرى في الدولة الاسلامية، فالشيخ نصر النابلسي، كانت له شهرة واسعة في عصره، وانتشر تلاميذه في البلاد، وذكرت المصادر أنه ترك عدداً من المؤلفات في المذهب وغيره.

وباستثناء ما ذكرته المصادر عن مصنفات الشيخ نصر، فإننا لم نسمع عن وجود حركة تأليف نشطة في المنطقة في القرون الأربعة الأولى من هذا العصر، إذ إن الحركة الثقافية في هذه الفترة، لم تكن، فيما يبدو، تتعدى الوعظ والأرشاد في المساجد التي كانت مجالس علم، فضلاً عن كونها أماكن عبادة.

ويبدو أن الزهد كان الصفة الغالبة على فقهاء القرون الأربعة الأولى من هذا العصر، على نحو ما وجدناه لدى الشيخ نصر النابلسي والشيخ أبي عبد الله الديباجي، والشيخ محمد بن أحمد بن سهل، بما بينته في الفصل الخاص بالزهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة.

ويبقى الأمر على ما هو عليه، حتى منتصف القرن السادس الهجري، حين بدأت تظهر بوادر حركة ثقافية واسعة، إذ أخذت مجالات البحث تتعدد وتتسع، وإن بقيت العلوم الدينية تستأثر بالاهتمام الأكبر بين سائر العلوم.

ومما امتازت به دراسات الفقه والحديث في هذه الفترة، وفرة العلماء وسعة علمهم واتساع دائرة حفوظهم، على نحو ما ذكر عن الشيخين: عبد الغني بن عبد الواحد والمُوفّق بن قُدامة، بما بينته آنفاً. ومن الواضح أن أولئك العلماء كانوا موسوعيين في ثقافتهم، وقد يكون الواحد منهم فقيهاً ومحدثاً في آن معاً، إضافة إلى معارفه الأخرى التي قد لا تقل بحال عن درايته بهذين العلمين.

ومما يميز فقهاء هذه الفترة الزمنية، بعدهم عن التعصب، على الرغم مما يشاع من أن الحنابلة كانوا شديدي التعصب لمذهبهم. فابن قدامة مثلاً، يورد في "المغني" الأقوال المختلفة للفقهاء، ثم يرجح أحدها دون تعصب منه لمذهبه.

وبالأضافة إلى علمَي الفقه والحديث ، اهتمّ علماءُ المنطقة ، في هذه الحقبة ، اهتماماً كبيراً بعلمِ اللّغة ، فبرز من بينهم عددٌ من اللّغويين والكُتّاب منهم : أحمدُ بنُ عبدِالولّي ، المشهورُ بابن جبارة المَرداوي ، والشيخُ شمسُ الدّين ابنُ بُدران ، وقد تَركَ كلٌّ منهما عدداً من المُصَنّفات في هذا الفرع من فروع المعرفة ، وعلى الرّغم من أنّه لم يَصلْنا الّا بَعضُ هذه المؤلّفات ، وما وَصلنا منها مازال مَخطوطاً ، فإنّ السّمةَ الغالبةَ عليها هي سِمَةُ الشّرح والتّعليق والتّلخيص ، كما تَدُلُّ على ذلك عَناوينُها . فَمِن مُصَنّفات ابن جبارة : "شرحُ أَلفيّة ابن مُعْطي " و "شرحُ أتراب القَصائد " للشّاطبي ، وَمِن مُصَنّفات ابن بُدران : "المُنْتَقى مِن شَرح ابنِ مالك لكتاب عُمْدة الحافظ وعُدّة اللّافظ " .

أمّا ماكان ذا طابَع فَنّيّ في كتاباتهم النّثرية ، فأنّ الموجودَ منها غيرُ وفير ، مع أنّ المصادرَ تَحدّثت عن وُجود فِئة من الكُتّاب مِمّن كانت لهم مُساهَماتٌ في النّشر الفَنّي . فابنُ حَجَر مثلاً ، ذَكر في كتاب "الدُّرر الكامِنة " أنّ الشيخَ شَرَفُ الدّين بنَ مُزْهِر ، كانَ من شُيوخ الكُتّاب المَعروفين بالكِفاية (١) . ووَصف الصّفَديُّ خَطيبَ الشّام ، شَرفَ الدّين النابُلسي ، بأنّه كانَ بديعَ الكِتابة ، وأنّهُ كانَ يَخطُبُ من انشائه (٢) .

ومِن الأمورِ التي يوقَفُ عندَها ، ظُهورُ فئةٍ مِنَ النُّسّاخ مِمّن امتازوا بجودة الخَطّ ودِقّة الكِتابة ، وعُرفَ عن بَعضهم أنّه كان يَعزفُ عن أن يتناولَ أجراً على كتابةِ نَسخه ، ليكونَ عملُهم خالصاً لِخدمة العلم . ولقد كان أولئك النُسّاخ في العادة ، مِن بَين ذَوي الأقدار مِنَ العُلماء ، إذ إنّ أهمّ ماكان يُميّزُ النّاسخَ ، أن يكونَ من أصحاب المَعرفة بالعلم الّذي يَنسخُه . ومِن أشهر أولئك النُّساخ ، محمّدُ بنُ خَلَف بنِ راجح ، والشّيخُ أحمدُ بنُ قُدامة ، اللّذان نَسخا عَدَداً من المُصَنّفات الهامّة ، من بينها "الإبانة " لابن بَطّة " و "المُغني " لابن قُدامة ، و "الحِلْية " لأبي نَعيم ، و "مُختصرُ الخِرَقي " وكثيرٌ غيرُها .

وكان لِعُلَماء المنطقة اهتماماتٌ بتَدوين التّاريخ ، فقد ذُكر عن الحافظِ أبي مُحَمّدٍ عبدِاللّه بنِ خَلَف المِسْكيّ ، أنّه شَرَعَ في كتابة تاريخ مصر ، الّا أنّه عَجزَ عن اكماله لِضائقته المادّية (٣) . وذُكر عن عثمانَ بنِ ابراهيمَ النّابُلسي ، وكانَ حَيّاً سنة ستّمائةٍ واثنتين وثلاثين ، أنّ لهُ كتاباً في تاريخ

---

(١) الدُّرر الكامِنة : ج ٥ ، ص ١٢١ .
(٢) الوافي بالوفيات : ج ٦ ، ص ٢٣١ .
(٣) انظر : مُعجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٢٨ .

الدّواوين المصرية وتنظيمها زمنَ الأيّوبيين ، وقد سمّى كتابه هذا : "لُمَع القوانين المضية في دواوين الدّيار المصريّة (١) .

ووجد في المنطقة خلال هذه الفترة ، من له نظر في الأمور الطبّية كما يُستدلّ بما ذكره صاحب "دُرّة الحِجال" في حديثه عن أيّوبَ بنِ نِعْمة ابنِ مُحمّد النّابُلُسي ، المولودِ قبلَ سنة سِتّمائةٍ وتسعٍ وثلاثين ، مِنْ أنّه كان حَكيما" ماهرا" . وقد عقّب على ذلكَ بقوله : "والحَكيمُ عندهم هو عِبارةٌ عن النّاظِر في العُيون لا في الأبْدان"(٢) .

ويمكن القولُ إنّ كثيرا" من العُلومِ والمعارفِ الّتي كانت شائعةً في العالَم الإسلاميّ في ذلكَ العصر ، لا بُدّ أنّه كان لها وُجودٌ بالفعل في المنطقة ، لأنّ ذلك من الأمور الطّبيعيّة ، حَتّى ولو أنّنا لَم نَعْثُر حتّى الآن على المصادر ذاتِ العَلاقة بتلك العُلومِ والمعارف ، ولعلّ مزيدا" من التّنقيب في كُتُبنا التّراثيّةِ يَكشِفُ في المُستقبل عن هذه المصادر .

أمّا الأسلوبُ الّذي كان مُتّبَعا" في تأليفهم بوجهٍ عام ، فهو الأسلوبُ التّقليديُّ القائمُ على السّرد ، دونَ التّقيّد دائما" بما شاع في حِقَبٍ مُعيّنةٍ من العصر العبّاسيّ ، من أساليبَ مُثقَلةٍ بالزُّخرُف اللّفظي ، إذ إنّني لم أجِد أثرا" يُذكَرُ للسّجع في كتاباتِ عُلماءِ نابُلُس وما حَولها . ولعلّ من النّافع هنا ، أنْ أتناولَ نموذَجين من مؤلّفاتِهم ، أعرِضُ فيهما للأسلوبِ الّذي انتهجَه صاحباهُما في تأليفهما ، وقد وقَع اختياري على كتاب "المُغني" لابن قُدامة ، وعلى مَخطوطٍ بعنوان "أحاديث الشّعر" لِعَبد الغَني بنِ عبد الواحد . أمّا الكتابُ الأوّل ، فيُعتبَر من أنفسِ الكُتُب في الفقه الإسلاميّ . فقد أقام الشّيخُ المُوفّقُ كتابَه المذكورَ على أبواب الفقه الإسلامي جميعِها ، شارحا" "مُختصَر الخِرَقي" ، ومُرَتِّبا" أبوابَه على نحوِ ما جاءَ في كتاب الخِرَقي ، فيقول : "ثم بَنَيْتُ ذلك على شَرح مُختصر (أبي القاسم عُمَرَ بنِ الحُسين بنِ عبد الله الخِرَقي) رحمه الله ، لِكَونِه كِتابا" مُبارَكا" نافعا" ، ومُختَصرا" موجَزا" جامعا" ، ومؤلّفُه امامٌ صالحٌ ذو دينٍ أخو وَرَعٍ ، جَمَع فيه العِلمَ والعَمَل ، فنتَبرّك بكتابه ، ونَجْعَل الشّرحَ مُرَتّبا" على مَسائلِه وأبوابه" (٣) ، ولكنّه لا يَكتفي بما وَرد عند الخِرَقيّ من أدلّة وشَواهد ، بل يُضيفُ إليها ما يَكفُلُ جَلاءَ الصّورةِ ، ووُضوحَ الدّليل إذ يقول : "ونَبدأُ في كُلّ مَسألةٍ بشَرحِها وتَبيينِها ، وما دَلّت عليه بمَنطوقِها

---

(١) فهرس المخطوطات العربية المصورة : ج٣ ، ص١١٦ .

(٢) انظر : دُرّة الحِجال ، ج١ ، ص٢١٥ .

(٣) انظر : المغني والشرح الكبير : ص٣ .

ومفهومها ومضمونها ، ثم يُتبِعُ ذلك ما يُشابهها مما ليس بمذكورٍ في الكتاب، فتحصُل المسائلُ كتراجم الأبواب" (١) . وقد وضّح في مُقدمته أنه أراد من كتاب "المُغني" أن يكون شرحاً لمذهب الإمام أحمدَ بنِ حنبل ، رضي الله عنه ، غيرَ أنّ هذا لم يُحِلْه على التعصّب ، كما بيّنتُ ذلك آنفاً ، فقد كان يورد في كتابه الأقوالَ المُختلفةَ للعُلماء ، مُوَضّحاً ما اختُلِفَ فيه وما أُجْمِعَ عليه ، مُقدّراً للجميع اجتهادَهم ، ومُرجّحاً لبعضِ الآراء دونَ غيرها ، من غير تعصّب ، فهو يقول : "وكان إمامُنا أبو عبد الله أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ محمّدِ ابنِ حَنْبل ، رضيَ اللهُ عنه ، من أوفى الأئمة فضيلةً ، وأتبعِهم لرسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، وأعلمِهم به ...... فلذلك وقعَ اختيارُنا على مذهبه ، وقد أحببتُ أن أشرحَ مذهبَه واختيارَه ، ليعلمَ ذلك من اقتفى آثارَه ، وأُبيّنَ في كثيرٍ من المسائل ما اختُلِفَ فيه ممّا أُجمِعَ عليه ، وأذكُرَ لكلّ إمامٍ ما ذهبَ إليه ، تبرّكاً بهم ، وتعريفاً لمذاهبهم ، وأُشيرَ إلى دليلِ بعضِ أقوالهم على سبيل الاختصار ......" (٢) .

وبالإضافة إلى اهتمام المُؤلّف بإيراد الآراء المختلفة للعُلماء ، فإنّه كان كثيراً ما يتدخّلُ ليُقدّمَ رأياً جديداً ويُقيمَ عليه الدّليل ، ويُعبّرَ عن ذلك بقوله : "ولنا ......" ومن ذلك قوله ، بعد أن أورَدَ الآراءَ المُختلفةَ للعلماء في المقصود بالصّلاة الوُسطى : "ولنا ما رُوي عن عليّ رضيَ اللهُ عنه ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب : "شغلونا عن صلاةِ الوُسطى ، صلاةِ العصر ، ملأ اللهُ بيوتَهم وقبورَهم ناراً" . مُتّفقٌ عليه . وعن ابن مسعود قال : قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : "صلاةُ الوُسطى صلاةُ العصر" . وعن سمُرةَ مثلُه . قال التّرمذي : في كلّ واحدٍ منهما : هذا حديثٌ حسنٌ صحيح . وهذا نصٌّ لا يجوزُ التّعريجُ معه على شيءٍ يُخالفُه" (٣) .

وقد أورد مزيداً من الشّواهد والأدلّة التي تُعزّزُ وجهةَ نظره . وقد لاحظ الدّارسُ من هذا الموقف وغيره اقتدارَ المُؤلّف على إيراد الدّليل المُقنع المُستنبَط من القرآن والسّنّة ، بما يكشفُ بجلاءٍ عن محفوظٍ واسعٍ وبديهةٍ حاضرة .

وممّا يُميّزُ أسلوبَ ابنِ قُدامة في "المُغني" ، كثرةُ استشهاده بالشّعر من أجل جلاءِ معنىً أو إزالةِ غموض ، من مثل استشهاده بالبيتين

---

(١) المغني : ج١ ، ص٣ .
(٢) المغني : ج١ ص ٣ .
(٣) المغني : ج١ ، ص ٣٨٩ .

التاليين على أنّ الصلاة في اللغة تعني الدعاء :

تقولُ بنتي وقد قرّبتُ مرتحلاً ‏ ‏ ‏ ‏ يا ربِّ جنّب أبي الأوصابَ والوجعا
عليكِ مثلُ الذي صلّيتِ فاغتمضي ‏ ‏ ‏ ‏ نوماً فإنّ لجنبِ المرءِ مضطجعا (١)

ومن ذلك توضيحه لمعنى كلمة " شطر " في قوله تعالى : " وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره " ، إذ استشهد لتوضيحها بالبيت التالي :

ألا مَنْ مبلغٌ عنّا رسولاً ‏ ‏ ‏ ‏ وما تغني الرسالةُ شطرَ عمرو (٢)

ومما لاحظه الدارسُ عند المؤلف في " المغني " ، كثرةُ إثارته للقضايا اللغوية ، وذلك من أجل توضيح مفهوم أو تدعيم دليل . ومثالُ ذلك ، قولُه أثناء حديثه عن اليمين وأحكامها الفقهية : " وحروفُ القسم ثلاثة : الباءُ وهي الأصلُ ، وتدخل على المظهر والمضمر جميعاً ، والواوُ وهي بدلٌ من الباء ، تدخل على المظهر دون المضمر ، وهي أكثر استعمالاً ، وبها جاءتْ أكثرُ الأقسام في الكتاب والسنّة ، وإنّما كانت الباءُ الأصلَ لأنّها الحرفُ الذي تصلُ به الأفعالُ القاصرةُ عن التعدّي إلى مفعولاتها ..... والتاءُ بدلٌ من الواو ، وتختصّ باسم واحد من أسماء الله تعالى ، وهو الله ولا تدخلُ على غيره .. " (٣)

أمّا المخطوط ، فهو عبارةٌ عن رسالة بعنوان " من أحاديث الشعر " للشيخ عبد الغني بن عبد الواحد ، ويقعُ هذا المخطوطُ في خمسَ عشرةَ ورقةً ، تشتملُ على ثلاثةٍ وأربعين حديثاً مرويّةً بأسانيدها عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، وقد قدّم لرسالته بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

" ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العليّ العظيم ، اللّهمَّ سهّل " .

ثمّ انتقلَ إلى موضوع الرسالة ، فجعله في بابين ، سمّى البابَ الأوّل : باب ما ورد في الشعر ، وقد ضمّنه واحداً وثلاثين حديثاً مسنداً توحي جميعُها بجواز نظم الشعر وترديده ، في حين سمّى البابَ الثاني : باب ما ورد في ذمّ الشعر . وقد اكتفى المؤلّفُ بإيراد الأحاديث ، سواءٌ منها ما كان مجيزاً للشعر أم محقّراً له ، دونما تعليق . ولربّما كان يكرّرُ الحديثَ الواحد إذا اختلفَ السندُ كلُّه أو بعضٌ منه ، أو إذا

---

(١) المغني : ج ١ ، ص ٣٧٦ . الأبيات للأعشى ، انظر : ديوان الأعشى الكبير ص١٣.
(٢) المغني : ج ١ ، ص ٤٤٧ ، لم أعثر على قائل هذا البيت .
(٣) المغني : ج ١١ ، ص ١٨٦ .

كان هناك اختلاف في نص الحديث . فمن الأحاديث التي أوردها وتشعر بجواز نظم الشعر ، الحديث التالي ، أورده بأسانيده ، لأن في ذلك ما يعزز ما عرف عن الشيخ من قدرة فائقة على حفظ الأحاديث بأسانيدها : " أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار البغدادي بها ، أخبرنا أبو المعالي ثابت بن بندار ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب البرقاني الخوارزمي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل الجرجاني الاسماعيلي ، أخبرني يحيى بن محمد والحسن قالا : حدثنا أبي وحدثنا القاسم ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر قالا : حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : ما قالت الشعراء بيتا " هو أصدق من قولهم :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل " (١) ×

---

(١) المخطوط : ص ١
الحديث صحيح ، وقد ورد في فتح الباري ، في الرقاق ، تحت رقم (٦٤٨٩) ، في باب : الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك . ورواه مسلم من طريق محمد بن المثنى بهذا الاسناد تحت رقم (٢٢٥٦) الجزء الخامس ، باب الشعر .
وأخرجه الأمام أحمد من طريق محمد بن جعفر ، الجزء الثاني ، ص ٤٥٨ .
وأخرجه أبو نعيم في " الحلية " : ج ٨ ، ص ٢٠١ ، والبيهقي : ج ١٠ ، ص ٢٣٧ .
وأخرجه ابن أبي شيبة ورقمه عنده (٦٠٦٧) وابن ماجة في سننه انظر : الحديث رقم ٣٧٥٧ .
وأخرجه ابن أبي شيبة (٦٠٦٦) وأبو نعيم في " أخبار أصبهان " ج ١ ، ص ٢٦٦ ، من طريق أبي أسامة ، عن زائدة بن قدامة ، عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة .

× هذا شطر بيت من الشعر للشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة العامري ، أما شطره الآخر .... وكل نعيم لا محالة زائل .
انظر : كتاب الأمثال والحكم ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ت ٦٦٦ هـ ، تحقيق : د. عبد الرزاق حسين ، دار البشير ، عمان ، ص : ١٥

ومن هذه الأحاديث التي يُفهَمُ منها اباحةُ الشّعر ، مارواه بسندٍ طويلٍ ، عَن أبي سَلَمَةَ بن عبدالرّحمن أنّه سَمعَ حسّانَ بنَ ثابتٍ الأنصاريّ يستشهدُ أبا هُرَيرة :

«أنشدُكَ اللّهَ ، هَلْ سَمعتَ رسولَ اللّه ، صَلّى اللّهُ عليه وسَلّم ، يَقولُ : " ياحَسّانُ أجبْ عن رَسول اللّه ، صَلّى اللّهُ عليه وسَلّمَ - اللّهمّ أيّدْهُ بروح القُدُس " ؟ قالَ أبو هُريرة : نَعَمْ» (١) ومن الأحاديث التي أورَدَها المُؤلّفُ شَواهدَ على إباحة نَظْم الشّعر ، مارواه عن أبي طاهر السِّلَفي ، مَرفوعاً إلى البَراء بن عازب ، أنّ النّبيَّ صَلّى اللّهُ عليه وسَلّم قالَ لحسّانَ : أهجُ المُشركين ، فإنّ جبريلَ عليهِ السّلامُ معك (٢) . وهو حديثٌ صَحيح ، وقد استشهدَ به الأقدمونَ على جَواز نَظم الشّعر ، ولا سيّما مايَتَعلّقُ منه بهجاء المُشركين . وأوردَهُ المُؤلّفُ في مَوقعٍ آخرَ عن طريقٍ مُختلفٍ مَرفوعاً إلى البَراء كذلك ، وقد اختلفَ نَصّه قليلاً ، فقال : أخبرَنا مُحَمّدُ ابنُ عبدالباقي بن أحمدَ بنِ سَلمانَ ...... إلى أنْ يَرفعهُ إلى البَراء أنّه قال : قالَ رَسولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسَلّمَ لحسّانَ بنِ ثابت " اهجُهم

---

(١) انظر : المخطوط ، ص ٢ .
حديث صَحيح ، أخرجه البُخاري : ج ١ / ٤٣٤ - ٤٣٥ ، في الصلاة باب الشّعر في المسجد ، وفي ج ١٠ ، ص ٥٠٤ ، في الأدب ، باب : هجاء المُشركين . وأخرجَه مُسلم : ١٦/ ٤٥ في فضائل الصّحابة ، باب : فضائل حَسّان ، وأخرجه النّسائي في " عَمَل اليوم والليلة " رقم ١٧٢ . وأخرجه الطّحاوي في " شَرح معاني الآثار " ج ٤ ، ص ٢٩٨ . والبَيْهَقي ١٠ / ٢٣٧ من طريق أبي اليمان بالإسناد نفسه .
وأخرجه البُخاري : ١٠ / ٤٥٠ في الأدب ، باب : هجاء المشركين ، والطّبراني ج ٤ رقم ٣٥٨٧ . وأخرجه أحمد : ج ٥ ، ص ٢٢٢ ، وأخرجه النسائي في السنن ج ٢ ص ٤٨ في باب المساجد ، (الرخصة في انشاد الشعر الحَسَن في المسجد) وأخرجه أبو داود الطّيالسي ، حديث رقم ٢٢٢٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ج ٤ ، ص ٢٨٦ ، والطّحاوي في " شَرح معاني الآثار " ج ٤ ، ص ٢٩٨ وابو بكر الخطيب في " تاريخ بغداد " ج ١٤ ، ص ٣١ . وأخرجه ابن أبي شَيْبَة (٦٠٧٣) وأخرجه البُخاري في المَغازي باب مَرجِع النّبي صَلّى اللّهُ عليه وسَلّمَ منَ الأحزاب : ج ٧ ص ٣١٤ وأخرجه الطّبراني في مُعجَمه : ج ٤ ، ص : ٣٥٩ ، والحاكم في " المُستدرَك " ج ٣ ، ص ٤٨٧ .

أو هاجهم وجبريلُ معك (١) ". وهو حديثٌ صحيح . ومن الأحاديث التي أوردها في باب ذمّ الشعر ، ما رواه أبو هريرة ، رضي اللهُ عنه عن الرسول ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، أنّه قال : " لأنْ يمتلئَ جوفُ أحدكم قيحاً ، خيرٌ من أنْ يمتلئَ شعراً ".(٢) ومن ذلك ما رواه عن المبارك بن علي مرفوعاً " إلى أبي جُرَيْز مولى معاوية ، أنّه قال : " خطب النّاسَ معاويةُ بحمص ، فذكر في خطبته أنّ رسولَ الله، صلّى اللهُ عليه وسلّم، حرّم سبعةَ أشياء : وإنّي أبلّغكم وأنهاكم عن النّوح والشّعر ، والتّصاوير والتّبرّج وجلود السّباع ، والذّهب ، والحرير " (٣) ويرى الدارسُ أنّ المنهيَّ

---

(١) رواه البُخاري عن سُليمانَ بن حرب ، ومُسلم بن عُبيد الله بن مُعاذ بن معاذ ، عن أبيه ، كلاهما عن شُعبة . انظر : بابَ ذكر الملائكة ج٦ ، ص ٢٣٦ . انظر : المخطوط ، ص ٢ .

(٢) انظر : المخطوط ، ص١٢ .
أخرجه مُسلم : ٥١/١٣ — ١٤ في الشّعر ، وابن ماجة ، رقم (٣٧٥٩) وأحمد : ج ٢ ، ص ٤٧٨ ، وابنُ أبي شَيبة (رقم ٦١٣٤) ، والبَيهقي ج ١٠ ، ص ٢٤٤ ، والبَغَوي . رقم : ٣٤١٣ . وأخرجه الطّحاوي في " المعاني " : ج ٤ ، ص ٢٩٦ . وأخرجه ابن حبّان في صحيحه تحت رقم (٥٧٤٧) ؛
وأخرجهُ البُخاري : ج ١٠ ، ص ٤٥ ، في باب : مايُكره أن يكونَ الغالبُ على الانسان الشّعر . وأخرجه التّرمذي رقم (٢٨٥١) .

(٣) المخطوط ص : ١٤ .
انظر الحديث في : مُسند الامام أحمد ، ج ٤ ، ص ١٠١ ، وأخرجه ابنُ ماجة (رقم ٣٥٨٠) من طريق هشام بن عمّار ، عن اسماعيلَ بن عيّاش بهذا الاسناد . وقال البوصيري في " مِصباح الزّجاجة " برقم ١٠٢ : " هذا اسناد فيه جُريز ، ويُقال : أبو حُريز ، لم أرَ مَنْ جرّحه ، ولا مَن وثّقه . واستأنف البوصيري قائلاً : وعبدُ الله بن دينار ، هو الحمصي قال فيه أبو حاتم : ليس بالقويّ ، وقال أبو عليّ الحافظُ : هو عندي ثقة ذكره ابن حبّان في " الثقات " .
وأخرجه الطّبراني : ج ١٩ (رقم ٨٧٦) من طريق عمرو بن خالد الحرّاني عن أبيه عن اسماعيلَ بن عيّاش ، بهذا الاسناد .
وأخرجه كذلك في : ج ١٩ (رقم ٨٧٧ ، ٨٧٨) من طريق محمد بن مهاجر الأنصاري عن كيسان مولى معاوية ، قال: " خطبنا معاويةُ فقال : إنّ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، نهى عن تسع وأنا أنهاكم عنهنّ ، ألا إنّ منهنّ النّوحَ والغناءَ والتّصاويرَ والشّعرَ والذّهبَ والتّبرّجَ والسّروجَ والحريرَ ".

عنه هو الشّعر الخارجُ عن اطار الآداب الأسلامية كالهجاء الفاحش والوصف المبتذل ومدح الرّجل بما ليس فيه ، إلى ماسوى ذلك من الشّعر الّذي لا يربطه برباط العقيدة شيء ، فالرسول صلّى اللّهُ عليه وسلّم إنّما أطلق الكلّ وأراد الجزء ، إذ كيف يستقيم النّهي هنا مع الحثّ على استخدام الشّعر في المعركة وهجاء المشركين في الاحاديث السابقة ؟ !

على أنّه ينبغي ألّا يفهم أنّ كلّ ما أورده الشّيخ عبدُ الغني في "أحاديث الشّعر" من أحاديث ممّا لا يرقى إليه الشّكّ ، فقد أورد بعض الأحاديث الضّعيفة ، على الرّغم ممّا عُرف عنه من تحرٍّ وضبط . ومثال ما رواه من الأحاديث الضّعيفة ، ماجاء في باب ذمّ الشّعر ، حيث قال :

(أخبرنا محمّد بنُ عبد الباقي ، أخبرنا أحمدُ بنُ الحسن بن خيرون أخبرنا الحسنُ ابنُ أحمد بن ابراهيمَ بن شاذان ، أخبرنا عبدُ الله بنُ جعفر حدّثنا يعقوبُ بنُ سفيان ، أخبرنا حميدُ بنُ الرّبيع ، حدّثنا هُشيم أخبرنا أبو الجّهم ، عن الزّهريّ ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : " قال رسولُ اللّهِ ، صلّى اللّهُ عليه وسلّم : امرؤُ القيس صاحبُ لواء الشّعراء إلى النّار ").(١) ففي سند هذا الحديث أبو الجّهم ، وهو مجهول ولم يُرْوَ هذا الحديث عن الرّسول صلّى اللّهُ عليه وسلّم بغير هذا الاسناد .

---

(١) انظر : المخطوط ، ص : ٤١ .
أخرجه البزّار (٢٠٩١) وابن عديّ في "الكامل" ج ٧ ، ص ٢٧٥٥ ، وابنُ الجوزي في "العلل المتناهية" ج ١ ، ص ١٣٨ . وابنُ عساكر في تاريخ دمشق : ٣٩ / ٢٣٤ — ٢٣٥ . "وقال البزّار : لا نعلمه عن رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم إلّا بهذا الأسناد . وأبو الجهم الوارد اسمه بين الرّواة ، قال فيه أبو زرعة : واهٍ ، وقال أحمد : مجهول ، وقال ابنُ حبّان : يروي عن الزّهري ماليس من حديثه . وقال ابنُ عديّ : لا نعرفُ له سوى هذا الحديث ، وهو منكر بهذا الأسناد . وقال ابنُ عبد البَرّ : لا يصحّ حديثه". (انظر : الميزان : ج ٤ ، ص ٢١٥) ولسان الميزان "ج ٧ ، ص ٢٨ — ٢٩ " وتعجيل المنفعة : ص ٤٧٢ — ٤٧٣) .

أمّا فيما يتعلّقُ بالشّعر ، فإنّ أقدمَ ما وَصَلنا منه يعود إلى مطلع القرن الثالث الهجري ، وهو لا يتعدّى تلك المجموعات من الأبيات التي أورد تها في أثناء حديثي عن الشاعر ادريس بن يزيد النابلسي . ثم انقضت فترة طويلة من الزمن قبل أن يظهر الشّعر في حياة الأدباء النابلسيين ، مع أنّ الشّعر في السنين اللاحقة للقرن الثالث الهجري ، كان له شأنٌ كبيرٌ في النّتاج الأدبي ، وكان يلقى اهتماماً من الخاصّة والعامّة على حدٍّ سواء . إلّا أنّ الشّعر كان أوفرَ حظّاً في الحقبة المتأخّرة من العصر العبّاسي ، إذ تمكّن الدّارسُ من العثور على نماذج منه توحي بوجود عددٍ من الشّعراء النابلسيين ، كان من أبرزهم ، الرّشيد النابلسي الّذي حظي في عصره بشهرةٍ فاقت شهرةَ غيره من الشّعراء .

ويرى الدّارسُ أنّ الرّوحَ الدّينيةَ كانت بارزةً في شعر المنطقة ، مثلما كانت بارزةً في ألوانِ الثّقافة الأخرى ، إذ يمكن القولُ بأنّ ما نُظم من شعرٍ إبّان هذه الحقبةِ قد خضع بمجمله للحِسّ الدّيني التزهّدي ، ولذا كانت موضوعاتُ الشّعر في الغالب مُستمَدّةً من معتقدات الناس الدّينية وقيمهم الرّوحية . وقد أشاد الشّعراءُ في شعرهم بالمشتغلين بعلمَي الفقه والحديث ، باعتبار هذين العلمين من أجلّ العلوم . ومن ذلك قولُ عبدِ الرّحمن بنِ عبد المنعم بن نعمة مُشيداً بعلم الحديث والمشتغلين به :

مافي العُلوم لَه مِثْلٌ يُماثِلُهُ فاطلبْهُ مُقتَصِداً ، تَسعَدْ به أبدا

وأهلُهُ خيرُ أهلِ العِلم قاطبةً فكُن مُحِبّاً لهم كيما تفوزَ غَدا

لولا هُمُ زادَ قومٌ في الشّريعةِ ما شاءوا ، ولكنْ حَماها كَونُهم أُسُدا

هل يَستوي مَن نأى عَن أرضِه طَلَباً لها وآخرُ عن تَحصيلِها قَعَدا ؟!

شانيهمُ لا لَقيتَ الدّهرَ مَحمَدةً ولا وُقيتَ مُصاباً ، لا وَلا فَنَدا (١)

ونَجدُ مِثْلَ هذا المعنى في شعرِ مُحمّدِ بن عبدِ القَويّ بنِ بَدران (٢) ، وعبدِ الله ابن غانمِ بنِ عَساكر (٣) وغيرهما من شعراءِ هذه الحِقبةِ من العَصر العبّاسيّ .

---

(١) انظر : الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٢٦٦ .
(٢) انظر : منظومة الآداب ، ص : ٣ .
(٣) انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

وقد شاعَ النَّظْمُ في الزُّهـد ، إذ انطلَقَ الشُّعراءُ من النَّظْرَة المعروفة للزُّهّاد إلى الحَياة الدُّنيا ، من أنها لَعِبٌ ولَهو ، وأنَّ الحَياةَ الأخرى هي التي يَنبغي أن تكونَ غايةَ الأنسان فيما يَقولُ ويَفعلُ ، لهذا كَثُرَ في شِعرهم التَّذكيرُ بالمَوت ، والحَثُّ على الأعراض عن الدُّنيا ، والدَّعوةُ إلى الاقبال على الآخرة ، فقد قال المُوَفَّق :

أَتَغفُلُ يا ابنَ أحمدَ والمَنايا ... شَوارِعُ يَخْتَرِمْنكَ عَنْ قَريب ؟!

أَغَرَّكَ أَنْ تَخَطَّتكَ الرزايا ... فَكَمْ للمَوتِ مِن سَهمٍ مُصيبِ

كُؤوسُ المَوتِ دائِرَةٌ عَلَينا ... وما لِلمَرءِ بُدٌّ مِنْ نَصيبِ

إلى كَمْ تَجعَلُ التَّسويفَ دَأباً ... أَما يَكفيكَ انذارُ المَشيبِ ؟!

أَما يكفيكَ أَنَّكَ كُلَّ حِينٍ ... تَمُرُّ بِقَبرِ خِلٍّ أَوْ حَبيبِ

كأنَّكَ قد لَحِقْتَ بِهِم قَريباً ... ولا يُغنيكَ إفراطُ التَّحيب !! (١)

ومن الموضوعات التَّقليديّة التي أكثرَ شُعراؤُهم النَّظمَ فيها ، ما يَدخُل في باب الأخوانيّات ، أو عَلاقة الأنسان بالأنسان ، مِثل : الوفاء واظهار المَوَدّة ، إذ يَكادُ يَكون هذا الغَرَضُ من أغراض الشِّعر قاسِماً مُشتَرَكاً بينهم . ومِن جَيِّد ما قيل في هذا الموضوع ، ما قالهُ الحافظُ ابنُ بَكّار (٢) :

شَفيعي إلَيكُمْ ذِلَّتي وخُضوعي ... وَفَرطُ غَرامي فيكُمْ وَوُلوعي

وَشِدَّةُ أَشواقي إليكُمْ وحُرقَتي ... عَلَيكُمْ وأَنْفاسي وفَيْضُ دُموعي

جَنابُكُمُ لي مَوطِنٌ وَحياكُمُ ... مَلاذٌ ، وأَنتُمُ مَفزَعي وَنُزوعي

تَقَضَّى زَماني في هَواكُمْ فَلا أرى ... سِواكُمْ إليهِ مَوْئلِي ورُجوعي (٣)

---

(١) المُغني والشَّرح الكبير : ج ١ ، ص ٧ .

(٢) يوسفُ بنُ الحَسَن بنِ بَدرٍ بن الحَسن بن مُفَرِّج بن بَكّار ، المعروفُ بشَرف الدّين النّابُلُسي ، المولودُ سنة سِتّمائة وثلاث ، وقد تَفَقّهَ وحَدَّثَ بدمشقَ والاسكندرية ورَوى عنه جماعة ، وَوَلِيَ مَشيَخَةَ دار الحديث النّورية بدمشق مُدّة . وكانت وفاته سنة ٦٧١ هـ (انظر : فوات الوفيات ج٤ ، ص ٣٤٠) .

(٣) انظر فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٣٤٠ .

وكان للمدح ، وهو من الأغراض التقليدية كذلك ، نصيبٌ كبيرٌ في شعرهم ، وكان بعضهم يصدرُ في مدحه عن رغبةٍ في المكافأة والثواب ، وقد يبيّن ذلك صراحةً ، كما في الأبيات التالية لمنصور بن محمّدٍ بن عليّ النابلسي (١) :

جُبِلتُم على الإحسانِ آلَ مُهاجرٍ ... وحزتُمْ رقابَ الفخرِ والحمدِ والمجدِ
وجودُكُم قد سارَ شرقاً ومغرباً ... وطبّقَ عرضَ الأرضِ غوراً إلى نجدِ
غدوتُم لجيدِ الدهرِ عقداً منظّماً ... بِيُسْرٍ ، وعزُّ الدينِ واسطةُ العقدِ
أيجمُلُ أنْ يحيا بجودِكُمُ الورى ... جميعاً ، وأعرى منهُ دونهمُ وحدي؟ (٢)

وهو مدحٌ لا يخلو من مبالغةٍ وإفراطٍ كما هو واضح .

وقد يصدرُ الشاعرُ في مدحِهِ عن إعجابٍ صادقٍ بالممدوحِ ، دونَ النظرِ إلى مكافأةٍ أو ثواب . ولعلّ من أفضلِ الشواهد على هذا النوع من شعر المدح ، تلك القصائدُ التي نظمها الرشيدُ النابلسي في السلطان صلاح الدين الأيوبي ، مُطرياً جهادَه وانتصاراتِه الكبيرةَ على الصليبيين .

وكان الحنينُ أحدَ الأغراضِ التي نظمَ فيها شعراؤُهم ، ولا سيّما الحنينُ إلى المحبوب البعيد . والحنينُ في هذا الشعر ، يستبينُ فيه الصدقُ الشعوري ، وحرارةُ التعبيرِ ، وانسيابيّةُ النظم . وقد ساروا في حنينهم على نهجِ القدماء ، من ذكرِ الأماكن وريحِ الصبا وأزهارِ الرّند ، وخطراتِ البرقِ والبوحِ بالشكوى ، إلى ما سوى ذلك ممّا كانَ يردُ في شعر القدماء . ومن ذلكَ قولُ الحافظ ابنِ بكّار :

سَلوا عذَباتِ الرّندِ أو نسمةَ الصّبا ... إلى غيرِكُمْ هَلْ مالَ قلبيَ أو صَبا ؟
فعندَهُما أخبارُ كلِّ متيّمٍ ... مُحِبٍّ لكمْ ما حالَ مِنْ زمنِ الصِّبا
يَحِنُّ إليكُمْ كلّما لاحَ بارقٌ ... ويشتاقُكمْ يا ساكِني ذلكَ الخِبا
ويرتاحُ نحوَ المُنحنى وطُوَيْلِعٍ ... ويَهفو إلى تلكَ المعالِمِ والرُّبى (٣)

---

(١) أبو محمد منصورُ بنُ محمّدِ بنِ عليٍّ النابلسي (من سنة ٦٠٠ هـ ، إلى ما بعد سنة ٦٣٠ هـ) ، وقد ذُكرَ أنّه وَرَدَ إربلَ غيرَ مرّة ، حيث كانَ يعملُ بالتّجارة . وذكرَ ابنُ المستوفي أنّه قرأ على ابنِ عُنَيْنٍ بعضاً من شعره ، وكانَ يحفظُ شعراً كثيراً . (انظر : تاريخ اربل ، ق ١ ، ص ٤٤٦)

(٢) انظر : تاريخ اربل ، ق ١ ، ص ٤٤٦ .

(٣) انظر : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .

ومنـــه قولـــه :

رأى البرقَ نجديّـاً فحنَّ بما يهوى ولاحت له نارٌ فحنّ إلى حُـزوى
وهبّتْ له من جانب الغَور نفحـــةٌ أتتْهُ بريّـا ساكنيّ السَّفح من رضوى
تحنُّ لهم مغرى بهم كلفٌ جســمه إلى اللّيم فيهمْ ماأصاخ ولا ألوى
يناجي نسيمَ الصّبحِ عندَ هبوبـــه بأخبار ذاك الحيِّ ، باطيبها نجوى
ويشكو إليه مايلاقي من الهـــوى كذا كلُّ صبٍّ يستريحُ إلى الشّكوى (١)

ومن الموضوعات التّقليديّة التي طرقها الشّعراء النابلسيّون ، الغزل . وباستقراء ماعثرتُ عليه من شعـــر في هذا الغـرض ، يستبين أنّ غزلهم قد اتّسم بطابـــع التّحرّز والعفّـــة ، إذ لم يكن الشّعراء يذكرون من الحبيب إلّا مالا يجدون حرجـــاً في ذكـــره . وهم لا يصـــرّحون باسم الحبيب ، بلْ يكتفـــون بذكـــر ماحسُنَ من أوصافه الظّاهرة ، وما تركهُ لقاؤه من أثرٍ في النّفس . وكما في الشّعـــر العُـــذريّ القديم ، كان هؤلاء الشعراء يتحدّثون عن العذاب الذي يكابده المحـــبُّ حين ينأى عنه محبـــوبه . وقد أوردوا في غزلهم المعانيَ والتّشبيهات التي كان القدمـــاء يستخدمونها : فالمحبوبة تُشبهُ القمرَ عندَ اكتماله ، ونشوةُ الحـــبّ خمرٌ ، وعـــذابُ الحـــبّ مُتتبـع ، والظّمأُ إلى الحبيـــب لا يُروى . ومن شعرهم الغزليّ ، قـــولُ الرّشيـــد النّابلســـي :

يامَن عيـــونُ الأنام ترقبـــه رِقبةَ شهرِ الصّيامِ والفِطْـــــر
وإنّما يُرقـب الهلالُ فليـــمْ تُرقـــبُ بعد الكمالِ يابـــدري (٢) ؟

ومنـــه قولُ ابنِ بكّـــار :

سلامٌ على أهلِ الغـرام جميعِهم وخفّفَ عنهمْ مايُلاقون من بلـــوى
عـــذابُ الهوى مستعذبٌ عندَ أهلِه وغُلّتهم فيه ، مدى الدّهر ، لا تُروى
سكارى بما دارتْ على القومِ خمرةٌ سوى أنّ خمرَ الحبّ طرّحهمْ نشوى (٣)

---

(١) انظـــر : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٣٤٢ .
(٢) انظـــر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٣) انظـــر : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٣٤١ .

وقد لاحظ الدارسُ أنّ شعرهم الذي وَصَل إلينا ، قد خلا من عددٍ من أغراض الشّعر التّقليديّة الّتي شاعت في عصرهم وقبل عصرهم كذلك ، كالوصفِ والفخرِ والهجاء ، مع أنّ هذه الأغراض الثّلاثة كانت من الأغراض الشّائعة في الشّعر العربي .

أمّا الأغراض الجديدة الّتي نظمَ فيها شعراءُ هذا العصر ، ولا سيّما في القرنين الأخيرين منه ، فقد كان من أبرزها نظمُ العلوم . وقد قدّمَ الدّارسُ عند حديثه عن الشّعر في باب الحياة الأدبية من هذه الدراسة ، نماذجَ مختلفةً اقتبسها من قصيدتي اللّغوي الشّاعرِ ابنِ بدران ، اللّتين نظمهما في أحكام الفقه والآداب الشّرعيّة .

ولم يَخلُ شعرهم من ذكر الغلمان على نحوِ ماكان شائعاً في هذا العصر ، وقد اقتصروا في حديثهم عن الغلمان على وصف محاسنهم وآثارها في النّفوس ، ولكن دونَ أنْ يُفحِشوا في القول . ومن ذلك قولُ الرّشيد النّابلسي يصِفُ غلاماً تركياً :

هَزَّ لَدْناً مِن قدّه سَمهريّاً ومِنَ اللّحظِ صارماً مشرفيّاً
شادنٌ أرسلَ الجفونَ سِهاماً حينَ أبدى مِن حاجبيه قسيّاً
مِنْ بَني التّركِ مارنا ورمى حَبّةَ قلبٍ إلاّ أصابَ الرّميّا (١)

ومِنَ الموضوعات الّتي ترتبطُ بالنّزعة التّصوّفيّة لدى شعراءِ العصر ، ماتعلّقَ بالذّات الألهيّة والحبّ الألهي . وأبينُ ما يُميّز أولئك الشّعراء ، استخدامهم للرّموز والمصطلحاتِ والأشاراتِ الصّوفيّةِ ممّا هو معروفٌ لدى المتصوّفة ، وممّا له دلالاتٌ يُدركها الصّوفيّون . ومثاله ، ماقالَه عبدُ اللّهِ بنُ غانم في حديثه عن الذّاتِ الألهيّة :

لكَ في القُلوبِ منازلٌ ومَقامُ لا العقلُ يُدركها ولا الأفهامُ
والروحُ مَن يَهواكَ فيها شارةٌ لا الطّرفُ يَلحظُها ولا الأوهامُ
وسَرَت إلى الأرواحِ منكَ نُسَيْمَةٌ سَكِرَتْ بها العُشّاقُ فيكَ وهاموا (٢)

ولقد جَرى الشّعراءُ النّابلسيّون في نظمهم للشّعر على سُنَنِ مَن عاصَروهم ، إذ حافظوا على الطّريقة التّقليديّة في النّظم ، من حيثُ التّقيّدُ بالوزن والقافيةِ على طريقةِ المتقدّمين . ولم يَخرج عن الالتزام بالقافية الموحّدة سوى الرّشيد النّابلسيّ الذي نظمَ قصيدةً على قوافٍ متعدّدة (٣) .

والجديرُ بالذّكر أنّ هذا النّمطَ مِنَ النّظم لا يمثل ظاهرة مشتركة عند شعراء

---

(١) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٢) انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٥٦ .
(٣) انظر القصيدة أثناء حديثنا عن الشعر في هذه الدراسة .

العَصرِ في مَنطِقةِ نابُلسَ أو غَيرِها . ويُلاحَظُ أنّ البحرَ الطّويلَ احتَلّ المَركزَ الأوّلَ بينَ البُحورِ الّتي نَظموا عَليها ، ولا سِيّما في مَوضوعاتِ المَدْحِ والحَنينِ والزُّهدِ والتّصَوّفِ ، يَليهِ البَحرُ البَسيطُ ، فالوافِرُ ، فالكامِلُ ، فالخَفيف . والمَعروفُ أنّ هذهِ البُحورَ هي مِن أكثرِ ما نَظَمَ عَليهِ الشُّعراءُ في العَصرِ العَبّاسِيّ وقَبلَ هذا العَصرِ كَذلك . وقَد لاحَظَ الدّارِسُ أنّهم لم يَنظِموا على البُحورِ الّتي لم يَشِعْ نَظمُ القُدَماءِ عليها ، كالمَديدِ والمُضارِعِ والمُقتَضَبِ والمُجتَثّ ، كما لاحَظَ أنّهم قَلّلوا النَّظمَ في البُحورِ المَجزوءَة ، إذْ يَغلِبُ عليهِم المَيْلُ إلى النّظمِ على الأوزانِ ذاتِ التّفعيلاتِ الكَثيرة .

أمّا بالنسبةِ إلى القَوافي ، فقَد لاحَظَ الدّارِسُ أنّ الشُّعراءَ النّابُلسيّينَ قَد نَوّعوا في قَوافيهِم كَعادةِ غَيرِهم مِنَ الشُّعَراء ، مَعَ تَواتُرِ استِعمالِهم لِحُروفِ رَوِيّ مُعَيّنةٍ وهي تلكَ الّتي يَكثُرُ استِخدامُها ، مما يمكن تسميته بالقوافي الموطّأة .

أمّا الأساليبُ الّتي اتّبَعَها الشُّعراءُ في نَظْمِهِم ، فقَد كانَت مُتَبايِنَةً ، تَختَلِفُ باختِلافِ الأغراضِ الّتي نَظَموا فيها ، والمعروفُ أنّ شَكلاً مِن أشكالِ الارتباطِ يوجَد غالباً بَينَ المَوضوعِ والأسلوبِ الشِّعري ، وقد رَبَطَ القُدامى بَينَهما كما فَعلَ القاضي الجُرجانيّ الّذي رَأى أنّ "تُقسَمَ الألفاظُ على قَدْرِ المَعاني ، فلا يكونُ غَزَلُكَ كافتِخارِك ، ولا مَديحُكَ كوَعيدِك ، ولا هِجاؤُكَ كاستِبطائِك ، ولا هَزْلُكَ بِمَنزِلَةِ جِدِّك ، ولا تَعريضُكَ مثلَ تَصريحِك ، بَل تُرَتِّبَ كُلّاً مَرتَبَتَهُ ، وتُوفيهِ حَقَّهُ ، فتَتَلَطّفُ إذا تَغَزّلتَ ، وتُفَخِّمُ إذا افتَخَرتَ ، وتَتَصَرّفُ للمَديحِ تَصَرُّفَ مَواقِعِه ، فإنّ المَديحَ بالشّجاعةِ والبَأسِ ، يَختَلِفُ عن المَدحِ باللّباقةِ والظَّرف ، ووَصفُ الحَربِ والسِّلاحِ ليسَ كوَصفِ المَجلِسِ والمُدام ، فلِكُلِّ واحدٍ من الأمرَينِ نَهجٌ هو أملَكُ به ، وطَريقٌ لا يُشارِكُهُ الآخَرُ فيه" (١) .

ولقد نَهَجَ الشُّعراءُ النّابُلسيون في أساليبِهِم نَهجاً يَتّفِقُ مَع ما ذَكَرَه الجُرجاني ، فهُم في مَدائحِهِم وحَديثِهِم عَنِ الحَرب ، يَتّصِفُ أسلوبُهُم بالقُوّةِ والجَزالة ، ويَتّسِمُ أسلوبُهُم في الغَزَلِ والحَنينِ والشّكوى والعِتاب بالرِّقّةِ والعُذوبَةِ والسُّهولة . واستَخدَمَ بَعضُهُم أسلوبَ الحِوارِ في الشِّعرِ كَما في قَولِ الرّشيدِ النّابُلسي :

فَقلتُ والشّوقُ يَطويني ويَنشُرُني   لَم ألْقَ قَبلَكَ صَبّاً بَينَ لَيلَينِ
فَمَرّ يَضحَكُ مِن قَولي وَقالَ بَلى   كَم قَدْ رَأى النّاسُ سَعْداً بَينَ نَحْسَينِ (٢)

---

(١) انظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢٤ .
(٢) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

ومِنَ الظّواهر الّتي لاحَظَها بَعضُ الدّارسينَ المُعاصرين ، ظاهِرةُ التّكرار ، وقد اعتُبِرَت ظاهرةً عامّةً عندَ شُعَراءِ الشّام في هذا العَصر (١) ، ويَبدو التّكرار واضِحاً في مَواقعَ مُتَعَدِّدةٍ من شِعر الرّشيد النّابُلُسي .

وقد لاحَظَ الدّارسُ كذلكَ لجوءَ شُعَراءِ المَنطِقَةِ إلى الاقتباس والتّضمين في شِعرهم ، فَمِنَ الاقتباس قَولُ ابنِ بَدران :

وغَدْوَةُ غازٍ أو رَواحُ مُجاهِدٍ لَخَيْرٌ مِنَ الدُّنيا بِقَولِ مُحَمَّد (٢)

والاقتباسُ في البَيتِ واضح ، وهو مأخوذٌ مِن قَولِ الرّسول صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّم : " لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللهِ أو رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها ".(٣)
ومِنَ التّضمين ، قولُ ابن بَدران :

فَلِلّهِ مَن قَد باعَ لِلّهِ نَفسَهُ وجودُ الفَتى بالنّفسِ أقصى التّجَوُّدِ (٤)

فالشَّطرُ الثّاني مأخوذٌ مِن قَول الشّاعر مُسلِم بن الوليد :

يَجودُ بالنّفسِ إذ ضَنَّ البَخيلُ بِها والجُودُ بالنّفسِ أقصى غايةِ الجُودِ (٥)

أمّا بالنِّسبَةِ إلى الصّورة الفَنّية الشّعرية في شِعر النّابُلُسيين ، فإنّها تَتَمثَّلُ في أشكال البَيان المُعتادة ، مِن تَشبيهٍ واستِعارةٍ وكِنايةٍ وغَيرِها مِن الصُّوَر . وقد كانوا في حديثهم عن المَرأة يَستَمِدّونَ صُوَرَهم الفَنّية من شِعر الجاهليين ، كأنْ يُصَوِّروا وَجهَها بَدراً وقوامَها غُصناً غَضّاً ، وأسنانَها دُرّاً ، ورُضابَها خَمراً ، إلى غير ذلك مِن التّشبيهات المألوفة الّتي نَجِدُها في شِعر الجاهليّين . واستَمَدَّ الشُّعَراءُ الكثيرَ مِن صُوَرِهم الشّعريّة مِمّا حَولَهُم مِن مَظاهرِ الطّبيعة ، فَأسودُ اللّونِ لَيلٌ ، وأبيضُهُ نَهارٌ ، والمَحبوبُ شادِنٌ ، والدَّمعُ عَقيقٌ ، والجودُ بُحورٌ سَبعة ، إلى ما سوى ذلك من الصُّوَر والتّشبيهات . وقد لاحَظَ الدّارسُ أنَّ شُعَراءَ نابُلُس لم يكونوا مُغرَمين باستخدام البَديعِ إلّا ما جاءَ منهُ دونَ تَعَسُّفٍ وتَكَلُّف . وفيما استَخدَموهُ مِن ألوانِ البَديع ، طغى الجِناسُ على الألوانِ الأخرى ، سَواءٌ كانَ جِناساً تامّاً أمْ ناقصاً ، كقول الحافظِ ابنِ بَكّار :

---

(١) انظر : الحياة الأدبية في الشّام في القرن الخامس الهجري ، ص٣٨٥ .
(٢) انظر : عِقد الفَرائد ، ص١٦١ .
(٣) انظر : فَتح الباري ، ج٦ ، ص٩ .
(٤) انظر : عِقد الفرائد ، ص : ١٦١ .
(٥) انظر : جَواهر الأدب / أحمد الهاشمي ، ج٢ ، ص١٩٠ . البيت في مَدح داودَ بنِ يَزيدَ المُهَلَّبيّ .

هَوايَ الهَوى المعهودُ لَيسَ بزائلٍ ... وإن بَعُدَتْ داري ووَجْدي بِكُم وَجدي (١)

وقَـــولـــه :

سَلوا عَذَباتِ الرَّندِ أَو نسمةَ الصَّبا ... إلى غيرِكم ما مالَ قلبِيَ أَو صَبا (٢)

ومِـــنَ الجِّناس كذلك ، قولُ الرَّشيـــد :

وَأَبيها لولا تَغَـــزُّلُ عَيْنَيْها لَما قُلتُ في التَّغزُّلِ شِعـــــــرا (٣)

وقـــولُه :

زاروا نُموراً ولا تُغني وِقاحَتُهُم ... إذا أُسودُكَ في أَبطالِهِم زَأَروا (٤)

وقَـــولُـــه :

وإذا بُصِرَتْ بجاشِهِ وبِجَيْشِـه ... فاحثُ التُّرابَ على ذُؤابة سِنجِر (٥)

ومِنَ المُحَسِّنات البَديعيّة الّتي وَرَدَت في شِعرِهم ، الطِّباقُ ، ويَأتي في كَثرة استعمالِـه بَعدَ الجِّناس ، ومِن أَمثلته ما جاءَ في قولِ مَنصـــور النّابُلُسـي :

وَجُودُكُمُ قَد سارَ شَرقاً ومَغرِباً ... وَطَبَّقَ عُرضَ الأَرضِ غَوراً إلى نَجْـد (٦)

وفي قولِ الرَّشيـــد :

فَكَمْ نَثَرْتَهُمُ ضَرْباً إِذْ انتَظَموا ... وكَمْ نَظَمْتَهُمُ طَعْناً إِذ انتَثَــــــروا (٧)

ولَم يُلاحظ الدّارسُ ظهوراً واضحاً لأَنواع البَديع الأُخرى في شِعرِهـــــــم .

---

(١) انظر : فوات الوفيـــات ، ج ٤ ، ص ٣٤٤ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) انظر : الروضتـــين ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .
(٤) انظر : الروضتـــين ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .
(٥) المصدر السابـــق .
(٦) انظـــر : تاريخ اربـــل ، ق ١ ، ص ٤٤٦ .
(٧) انظر : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

خاتمة :

في دراستي للحياة الأدبية والثقافية في نابُلس وما جاوَرها في العصر العبّاسي ، لم يَغب عن ذهني ، أنّ العصرَ العباسيَّ عَصرٌ مَديد ، فقد امتدّ أكثر من خمسمائة عام ، وكان عصراً مُزدهراً علماً وحضارةً وفكراً ، بل لعلّه كان أكثرُ العُصور الأسلامية امتداداً وازدهاراً ، ومع ذلك كلّه ، بقي أمرُ الثّقافة والأدب في مُنطقة نابُلس بالمقارنة مع غيرها من المناطق الأخرى في العالم الاسلامي ، مجهولاً . ويرى الدّارسُ أنّ سببَ ذلك يَعود إلى بُعدها عن مراكز الثّقافة والاشعاع الفكري في الدولة الأسلامية ، اضافةً إلى ضيق الرُّقعة الجُغرافية الّتي تشغلُها . ولمّا كانت دراسةُ حِقبةٍ محدودةٍ من هذا العصر لا تتوافَرُ لها المادةُ الكافيةُ ، بسَبب افتقارنا إلى معلوماتٍ كافيةٍ عن المنطقة ، في المصادر الّتي وَصلَت إلينا أيدينا ، فقد لجأتُ إلى دراسة الحياة الأدبية والثقافيّة فيها عبر سِنيِّ العصرِ كُلّه ، لكي استفيدَ من أكبر قَدْرٍ من المَصادر وأوفر نَصيبٍ من المعلومات .

وقد تَبَيّنَ لي من خلال هذه الدراسة ، أنّ القرون الأربعة الأولى من هذا العصر ، التي تبدأ بقيام الدولة العبّاسية ، سنة مائة واثنتين وثلاثين وتنتهي بسقوط نابُلُس بيد الصّليبيين ، سنة خمسمائة وأربع،كانت فترةً شحيحةَ الأنتاج ، سواءً في مجال الأدب أم في مجال الثّقافة . ففي مجالِ الأدبِ ، لم تَذكُر لنا المصادرُ سوى عددٍ محدودٍ جداً من الشُّعَراء ظَهَروا في هذه الفترة ، من أبرزهم الشّاعرُ ادريسُ بنُ يزيدَ النّابُلُسي الذي كان معاصراً لأبي تمّام ، وحتّى هذا الشاعرُ ، لم تَحْفظْ لنا المصادرُ من شِعرهِ الّا القليلَ . وفي مجال الثّقافة العامّة كان ماأوردَتْهُ المصادرُ من أمرِها ، في هذه الفترة ، يَكادُ يَقتصرُ على الدراسات الفقهيّة ، والدينيّة بشَكلٍ عامّ . فقد ظَهرَ في المنطقة عَددٌ من الفُقهاء ، كان لهم أثَرٌ في مجال العلوم الدينيّة ، وكان

من أجلّهم ، الشّيخُ نصرُ بنُ ابراهيمَ النّابُلُسي (٤٩٠ هـ)، الّذي رأى بعضُ معاصريه ، أنّه لا يَقِلّ بحالٍ عن أئمّة السّلَف . وتذكُر المصادرُ أنّه تَركَ عدداً من المُصنّفاتِ القيّمةِ في الفقه الشافعي وغيرِه، وَقفَها جميعَها على بيت المَقدس ، وإليه يَرجعُ الفضلُ في نَشر مذهب الشّافعية في بلاد الشّام . ومن أولئك الفقهاء ، ابنُ النّابُلُسيّ الشّهيد (٣٦٣ هـ)، والشّيخُ أبو عبد الله الدّيباجيّ النابُلُسيّ (٥٢٧هـ) . ولم يَصلْنا شيءٌ ذو قيمة عن ألوان الثّقافة الأخرى في المنطقة في ذلك العهد .

أمّا الفترةُ التاليةُ الّتي تَبدأُ بالغزو الصّليبي لنابُلُس سنةَ خمسمائةٍ وأربع ، وتنتهي باشتداد حركة الهجرة من المدينة وما حولها سنة خمسمائةٍ واثنتين وخمسين ، فمن الطّبيعي أن لا نَستبينَ فيها معالمَ لِنشاطٍ أدبيّ أو ثقافيّ ، وذلك لانشغال الناس بمُدافعة العدو وعدم إحساسهم بالأمان والاطمئنان ، وهذا أمرٌ طبيعيّ في ظِلّ الظّروف الّتي كانوا يَمُرّون بها . أمّا الفترةُ المُتبقيةُ من العصر العبّاسيّ ، فقد كانت أفضلَ بكثيرٍ من الفَترتين السّابقتين ولا سيّما بعدَ طَرد الصّليبيينَ من المدينةِ وما حولَها . إذ ظَهرَت في المنطقة بوادرُ حَركةٍ ثقافيّةٍ وأدبيّةٍ نَشِطةٍ ، تَجلّتْ في مجالات المعرفةِ المُختلفة : في الفقهِ وعُلوم الحديث ، وفي اللّغة ونحوِها ، وفي الشّعر والتّاريخ ، وعلوم الهيئةِ والنّجوم وتعبير الرّؤيا وبعض العُلوم الطّبيّةِ وغيرِها ، والمُلاحَظُ على الثّقافة في هذه الفترةِ ، أنّها لم تَقتَصرْ على المدينة نفسِها ، بل لقد استبانَتْ آثارُها في المنطقة المُحيطة بها بشَكلٍ واضح ، فبرَزَتْ أسماءُ قرىً كثيرةٍ ، كان لعُلَمائِها دَورٌ كبيرٌ في إغناء الحركة الثّقافيّة داخلَ المنطقة وخارجَها ولا سيّما قَريةُ جَمّاعيلَ وقَريةُ مَرْدا . وقد ظَهَرَ في مَجال الدّراسات أنّ الموسوعيّةَ غَلَبَت على عُلماء هذه الفترة ، وأنّ علمَ الفقه وعلومَ الحديث ، قد استأثَرتْ بالاهتمام الأكبرِ من بينِ سائرِ العُلوم

إذ ظهر من بين العلماء النابلسيين ، عدد كبير من المهتمين بهذه العلوم ، نال بعضهم حظا بعيدا من الشهرة في عصره وما تلاه من عصور . ففي مجال الفقه مثلا ، حقق الشيخ موفق الدين بن قدامة شهرة واسعة ، حتى قال فيه بعض معاصريه : "إذا خرج هذا الفتى من بغداد احتاجت اليه" . وكتابه "المغني" يعتبر من أشهر كتب الفقه الأسلامي ، وكذلك كتاباه "الكافي" و "المقنع". وإلى الموفق نفسه يرجع الفضل في نشر مذهب الحنابلة في بلاد الشام . أما في علوم الحديث ، فقد اشتهر أمر الشيخ عبد الغني بن عبد الواحد ، الذي امتاز بكثرة محفوظه من الأحاديث بأسانيدها ، حتى قال فيه بعض معاصريه: "ولم يكن بعد الدار قطني مثل الحافظ عبد الغني". وكتابه "الكمال في معرفة الرجال" من كتب الرجال المشهورة. وتجدر الاشارة هنا إلى أن الدراسات الفقهية في هذه الفترة المتأخرة من العصر العباسي عنيت بمذهب الامام أحمد بن حنبل ، في حين أن المذهب الشافعي كان هو المذهب السائد في القرون الثلاثة الأولى من هذا العصر .

وقد عني العلماء النابلسيون باللغة ونحوها عناية خاصة ، فظهر من بينهم من ترك آثارا واضحة في هذا الفرع من فروع المعرفة ، ومن أشهر هؤلاء الشيخان : أحمد بن محمد بن عبد الولي ، المشهور بابن جبارة المرداوي ، من علماء القرن السابع ، ومحمد بن عبد القوي بن بدران المرداوي ، من علماء القرن نفسه . واشتهر من كتاب المنطقة في هذه الفترة ، شرف الدين النابلسي ، وشرف الدين يعقوب بن مزهر .

وقد اتبع العلماء النابلسيون في معظم كتاباتهم ، على اختلاف موضوعاتها الأسلوب التقليدي القائم على السرد ، وهذا يعني أنهم لم يتأثروا بما شاع في فترات معينة من العصر العباسي من أساليب زخرفية في الكتابة .

وفيما يتعلق بالشعر في هذه الفترة ، فإن عدد الشعراء

النّابُلسيّين كان مَحدوداً ، إذا حَكَمنا على عَدَدهم من خِلال المَصادر المتوافرة لَدَينا حَتّى الآن ، إذ إنّ ما وَصَلنا من شِعرهم ، يُعتَبرُ قليلاً ، وبخاصّةٍ ونحنُ نَتحدّثُ عن عصر ازدهرَ فيه الشّعرُ أيّما ازدهار. ويَرى الدّارسُ أنّه كانَ لسُيطرة الرّوح الدّينية على حياة النّاس بشكل عامّ وعلى الحياة الثّقافية في المنطقة بشكلٍ خاصّ نتيجةً لما عانَت منه المَنطقةُ من غَزو الفرنج ، أثرٌ كبيرٌ على قِلّة المادّة الشّعريّة ، كما يَتّضحُ من مَضمون رسالة وَضَعها أحدُ فقهاءُ المَنطقة ، وجَمع فيها أحاديثَ تَدعو إلى التّحرُّز من نَظم الشّعر ، ولا سيّما من أنماطٍ مُعيّنةٍ منه . وليسَ من قَبيل المُصادفة أنّ مُعظمَ ما وصَلنا من شِعر النّابُلسيين في هذه الفترة كان شعرُ فُقَهاء ، وهو شِعرٌ تَشيعُ فيه المَوضوعاتُ الدّينيّة ، وإن لم يَخلُ كُلّيّةً من ألوانٍ من الشّعر الجَميل في غير هذه الموضوعات ، على أنّهُ يَبقى في مُجْمَله مَطبوعاً بطابَع الآداب الاسلاميّة. ومع شِعر الفُقهاء هذا ، وصَلنا شِعرٌ آخرُ ، فقد ظهرَ في هذه الفترة المتأخّرة من العَصر العبّاسيّ عددٌ من الشّعراء النّابُلسيين اشتهرَ من بينهم الرّشيدُ النّابُلسي والحافظُ بنُ بَكّار . وقد نَظَم هؤلاء الشّعراءُ في كثير من أغراض الشّعر التقليديّة ، وبخاصةٍ في المديح والأخوانيات ، فيما أكثرَ الرّشيدُ من الأشادة بانتصارات صلاح الدّين على الصّليبيين . ومن الشّعر الذي يَنبغي الوُقوفُ عندَه في هذه الفترة في نابُلسَ وما جاوَرها ، نَظَراً لشُيوعه ، الشّعرُ التّعليميّ الذي نُظِمَتْ فيه أنماطُ العُلوم والمَعارف ، فقد وَضع ابنُ بَدرانَ المَرداوي مَنظومةً طويلةً يَربو عَددُ أبياتها على خمسةِ آلاف بَيت ، اشتمَلت على مُعظم أبوابِ الفقه . ويُمكنُ القولُ بصورة عامّة إنّ الشّعراء النّابُلسيين قد جَروا في نَظمهم للشّعر على سَنَن مَن عاصروهم ، فحافَظوا على الطريقة التّقليديّة في النّظم ، ولم يَتكلّفوا استعمالَ المُحسّنات البَديعيّة التي كانَ لها شأنٌ كَبيرٌ في شِعر مُعاصريهم . والقارئُ لِشعر النّابُلسيين يَجدُ فيه سُهولةً ووضوحاً وانسيابيةً وبُعداً عن الغُموض

والتوعّر .

وختاماً ، يمكن القول بأن منطقة أنجبت أمثال أولئك العلماء ، من فقهاء ومحدثين ولغويين وشعراء ، لا بد أن تكون قد أنجبت غيرهم من ذوي المعرفة في الفنون المختلفة . وقد تكشف الأيام عن أسماء جديدة كان لها دور معلوم في حضارة تلك الفترة، لمّا تزل آثارهم وتراجمهم حبيسة المخطوطات التي مازالت تنتظر من ينفض عنها غبار الزمن ، إن لم تكن قد اندثرت وانطوت مع ما اندثر وانطوى من فكر هذه الأمة وعلمها نتيجة التغييرات الاجتماعية والهزات السياسية التي كانت تتعرض لها الدولة الاسلامية بين الحين والآخر . والى أن يأتي ذلك اليوم ، أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة باعطاء فكرة واضحة عن حال الأدب والثقافة في نابلس وما جاورها في العصر العباسي ، والله ولي التوفيق .